وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر
عن قسم الفلسفة/كلية الآداب

Biannual Journal

الترقيم الدولي ISSN : 1136-1992

العدد التاسع عشر
مايس ٢٠١٩

الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على المعرف الدولي Doi
تحت رقم prefix :10.35284

العدد التاسع عشر
٢٠١٩

رئيس التحرير
أ.د.حسن مجيد العبيدي

الهيأة العلمية الاستشارية

١- أ.د. أدونيس عكرة/رئيس المركز الدولي لعلوم الانسان/اليونسكو/لبنان.

٢- أ.د. الطاهر بن قيزة /جامعة تونس الاولى /تونس.

٣- أ.د. عمر بوساحة / جامعة الجزائر /الجزائر.

٤-أ.د.محمد الشيخ/جامعة محمد الخامس/المغرب.

٥- أ.د.اشرف منصور / جامعة الاسكندرية /مصر

٦-أ.د.عماد الدين عبد الرزاق/جامعة بني سويف/مصر.

٧- أ.د. حسون عليوي السراي/الجامعة المستنصرية /العراق

٨-أ.د.عبد الكريم سلمان الشمري/جامعة بغداد/العراق.

٩- أ.د. جميل خليل المعلة /جامعة الكوفة /العراق.

١٠-أ.د. عبدالله محمد علي الفلاحي/جامعة إب/اليمن.

مدير التحرير
أ.م.د.عارف عبد فهد
كلية الآداب -المستنصرية

سكرتير التحرير
م.م. أسماء جعفر فرج
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي
م.د.منار صاحب
كلية الآداب/المستنصرية

تنضيد
م.م.أثير محمد مجيد

المحاسب المالي
رنا حسين عباس

البريد الالكتروني
journalofphilosophy@yahoo.com

الترقيم الدولي:Issn (١٩٩٢-١١٣٦)
فهرست بدار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

تصميم وطباعة
مكتب الإثير
للنشر والطباعة

الفلسفة

مجلة علمية محكمة يصدرها قسم الفلسفة

المحتويات

كلمة رئيس التحرير		
محور الفلسفة الإسلامية		
١-حضور الفارابي في الفكر الفلسفي الوسيط (العبري واللاتيني)	أ.د. حسن مجيد العبيدي	٣-٢٠
٢-بغداد في تجارب الأمم للفيلسوف مسكويه	م.د .عارف عبد فهد	٢١-٤٠
٣-نظرية الأصالة والاعتبار للوجود والماهية دراسة مقارنة بين السهروردي والشيرازي	د.علي جميل الموسوي	٤١-٦٠
محور الفكر العربي المعاصر		
٤-أثر المفاهيم الغربية على قراءة مفكري العرب المعاصرين للنص القرآني (نماذج مختارة)	د. علي عبد الهادي المرهج م م.علاء كاظم قاسم الجابري	٦٣-٧٦
٥- التسامح و قيم الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر	د. بلحنافي جوهر	٧٧-٨٨
٦-الإنسان بين الفعل واللافعل عند مالك بن نبي	د. حجاج خليل	٨٩-١٠٢
محور الفلسفة المعاصرة		
٧-الخطاب النّقديّ- الثّقافيّ ومراجعة الفعل السياسيّ دراسة في منجز النّظري النّقدية الألمانيّة	د. عَلّي عَبّود المُحمَّداوي	١٠٥-١٢٦
٨-البيوإيتيقا.. بين هول التقنيةوالتأطير الديني	د. آمال علاوشيش	١٢٧-١٥٢
٩-مفهوم الوجودية عند جان بول سارتر	المدرس عدي غازي فالح	
محور الدراسات الجمالية		
١٠-أساليب الاستنباط لفعل الفضاءات الداخلية	أ. د/فاتن عباس لفته الأسدي إياد طارق نجم عبود الدليمي	١٦٩-١٨٦
١١- فلسفة النظريات الاتصالية وتأثيرها في التصميم الطباعي	د.شيماء عبد الجبار عبد الكريم	١٨٧-٢٠٤
قبس العدد		
١٢-التأثيرات النفسية للعمليات الإرهابية لعصابات (داعش) الإجرامية على الأطفال من خلال التعبير في رسومهم	أ.م. د. حنان عزيز عبد الحسين	٢٠٧-٢٣٤
ملاحق العدد		
١٣- سيرة وعلم الدكتور نمير العاني ومنجزه	أ ، م ، د. فوزي حامد الهيتي	٢٣٧-٢٤٨
١٤- ميشيل فوكو- ما التنوير؟	ترجمة: أ.م.د كريم الجاف	٢٤٩-٢٦٤
١٥- قراءة في كتاب:" فلسفة الجسم عند ابن رشد" للباحث العراقي الأكاديمي حسن مجيد العبيدي	بقلم: يوسف بن عدي	٢٦٥-٢٧٤

العدد التاسع عشر

٢٠١٩

عنوان المراسلة
العراق-بغداد-الجامعة المستنصرية
كلية الاداب/قسم الفلسفة
ص.ب:١٤٠٢٢
تلفون:٤١٦٨١١٩٨
Email:
Philosophyarts@yahoo.com

التسامح و قيم الإنسانية في فكر الأمير عبد القادر

د: بلحنافي جوهر*

الكلمات المفتاحية: رمز التسامح .القيم العالمية .الوطنية.الإنسانية.النبل

الملخص: يعتبر الأمير عبد القادر من الشخصيات البارزة التي تعد مضربا للمثل في إنسانيته فعندما كانت الحروب تعرف بوحشيتها وصراعها الدموي ،عمل الأمير على إخضاع القتال إلى بعض القواعد التي تمليها الاعتبارات الإنسانية ، فهو صوفي متفلسف مجدد لم ينعزل ولم يكتف بالتفرغ للتعبد بل ساهم في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية من خلال اهتمامه بأحوال الناس ومشاكلهم أينما حل ووجد وعمل على علاجها فقد عكس سلوكه إنموذجا لسموه الأخلاقي لما تميز به من قيم السلم والتسامح،فكيف جسد هذه القيم ؟وكيف جمع بين السيف والقلم ؟ وفيما تتجلى أبعاد فكره ؟.

Key words

Symbol of tolerance, universal values, patriotism. Humanitarian, the nobilit

abstract

El Amir Abed el Kader was charmed with the thought of these noble qualities, because he sacrificed his life to defend freedom these humanitarian principles, he was a particular personality because he humanize the war even for prisoners, he has reproached humanitarian laws ; which he imposed on the admiration of his adversaries, that is why were many to pay him an enthusiastic tribute, he became an object of studies it is signed privilege sign of the nobility and the greatness he was symbol of the Tolerance, he is claimed to be the founder of Islamic revival, he adhered to universal values in his entourage, and even with these enemies, he is known as tolerant despite his patriotism.

أولاً– أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر: إنّ المتتبع لحياة الأمير عبد القادر (1808 – 1883) يرى أن شخصيته الحقيقية تتحجب وراء اعتباره مقاوما أكثر من الإشارة إليه كعارف، بينما كانت حياته الفعلية كلها نوع من السر الروحي حتى وهو يمارس دوره في تسيير الشؤون العامة. فهو في صميمه كأنه غائب عن العالم، وهذا ما كان (ماكس فيبر) يدعوه بالنموذج المثالي للبراءة الدينية التي تكون في صميم الحياة الاجتماعية[2].

*قسم الفلسفة/ كلية العلوم الاجتماعية/ جامعة معسكر/ الجزائر

"نشأ الأمير في مهد العلم والتقوى والتفوق بالأدب والفقه والتوحيد والحكمة العقلية كما كان من بيت فروسية، ومن تقاليده المتثاقفة بالسلاح وركوب الخيل وبذلك جمع الأمير بين السيف والقلم."[3]

وعرف كمناضل وطني قاد الحرب ضد المستعمرين الفرنسيين بعد تسميته أميرا في 22 أكتوبر 1832، ولكنه حاول في الوقت نفسه أن يعطي للحرب وجها إنسانيا، كما كان شاعرا وصوفيا، ومتكلما فضلا عن مسؤولياته كرجل دولة و حرب.[4]

عكس سلوكه سموه الأخلاقي، لما انطوى عليه من شيم النبل والعظمة، مما جعله محل بحث الدارسين لاستجلاء معاني القيم الأخلاقية النبيلة، وكيفية الاستفادة منها للتعامل بها في الحياة الاجتماعية. ففلسفته كانت قائمة على أساس أخلاقي قوامها رؤية الأمور من فوق المصالح الفردية، وتحمل صدمات الحياة وحوادثها بصفاء "باعتبار أن فلسفة ترفع الإنسان فوق الطموح والثروة."،وتظهر فلسفة الأمير عبد القادر من خلال مصنفاته المتميزة في قسمين:

القسم الأول يضم رسالتين وهي: "المقراض الحاد". وذكرى العاقل وتنبيه الغافل

أما القسم الثاني يتمثل في "المواقف". ويظهر من خلال مصنفاته تأثره بالفلسفة اليونانية سقراط وأفلاطون وأرسطو وفيتاغورس وطاليس، وكذا بفلاسفة الإسلام كالطبري وابن خلدون اللذان أعجب بهما و كذا الغزالي وغيره. ففي كتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" في بابه الأول المعنون ب "فضل العلم والعلماء" وفيه فصل تعريف العقل الذي به يتم إدراك العلوم وتكامل القوى الأربع" إذ اعتدلت في الإنسان يكون الإنسان كاملا."[5] كما أكد الأمير عبد القادر على شرف طلب العلم وضرورة اتسام الفرد بهذه الخاصية ،إذ يقول في ذكرى العاقل وتنبيه الغافل "إن التعايش المتناسق بين هذه الفضائل الأربع تفتح للإنسان بشكل مؤكد طريق الكمال. غير أن غيابها التام ينزع منها صفة الإنسان وتطرده من الجماعة.»[6] وقد شبه الإنسان الجاهل الفاقد للعلم بالمرضى حيث يقول "فإن القلب إذا كان صحيحا لا يستلذ إلا بالعلم، فإذا كان مريضا بسوء العادات واستلذ بغيره... وكالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل فيه فيراه مرا"[7].فالعلم هو أساس الخلق الحسن وأساس النهضة الاجتماعية .

أما القسم الثاني الخاص بالمواقف يتضح فيه فكره الصوفي وقد تناول فيه الأمير التنزيه الإلهي من خلال تناول الوجود وخالق الوجود ،كما يتناول فيه طبيعة البحث عن الحق إذ يقول الأمير في الجزء الثاني من المواقف "عن طالبي الهي يقتضي ذلك وجوبا إلهيا طلبه الحق منهم ،وذكر تعالى أنه أوجب على نفسه لهم ما أوجب كان مثل الوجوب الأول ذكر الحق تعالى ومن جهة أخرى ...،أنه استوجبوا على ربهم أن يكونوا أهلا لهذه المجالس يبذلهم مراكبهم ،أي أجسامهم التي هي المراكب لأرواحهم ،فان ألارواح التي يسميها الحكماء بالنفوس الناطقة ك المراكب والأجسام بما اشتملت عليه من القوى الظاهرة والباطنية كالدواب المركوبة فاستوجبوا هذه المجالس يبذلهم مراكبهم بالرياضة النفسية والمجاهدات الظاهرة البدنية... طلبا للمواصلة بالحق، لأن مرتبة الآلوهة لاغني لنا عنها وعبر عن هذه المسألة باللطيفة والدقيقة ...وهي من علوم الأذواق والأحوال،فهي

تعلم ولا تقال ولا تأخذها حدود وان كانت محدودة...لأن لأهل الطريق فيما يهبهم الحق تعالى – من علوم تفاوتا لا ينحصر ولا يضبط."[8]و بين الأمير في هذا أن غاية هذا البحث هي طلب الحق والمواصلة بالحق غير أن لبلوغ هذه الغاية لابد من التزام بصفات الحق الصفاء والطاهرة والسلوك الحسن الذي لا يكون إلا بالرياضة والمجاهدة واكتساب العلوم والمعارف ،الاهتمام بتوسيع أفق المسلم كانت من غايته ،لترويض السلوكات وللارتقاء بها.

البعد الأخلاقي في التصوف الأمير عبد القادر تربية النفس: كان الأمير شغوفا بموضوع الأخلاق فكرا وممارسة وأزداد هذا الاهتمام بعد فترة هجره لسيف ومقاومة ، غير أن المتتبع لسيرة حياته يلاحظ أن فكر الأمير كان دائما مغمورا إما بالبحث الأخلاقي، أي بالبحث على الدوام عن صفاء الأخلاقي لذلك ربط بين التصوف والمجاهدة ،وقد حذر الأمير المتصوف الذي يجاهد نفسه بالمكابدة الشاقة لأجل طلب جاه عند الملوك أو لصرف وجوه العامة إليه أو حصول غنى أو نحو ذلك، كما يرفض أن تكون دوافع عبادة الإنسان قائمة على أغراض نفسية لتحقيق حظوظ شهوانية ، لذا يمكن تلخيص "مفهوم التصوف الأمير عبد القادر أنه يتجلى في جهاد النفس في سبيل معرفة الله عن طريق الرياضات الشاقة والعبادة الخالصة لله تعالى والحضور الدائم مع الله تعالى."[9]

يقوم التصوف على العلم ويقصد بالعلم هو المعرفة بالنفس وأحوالها حتى يتحقق إخلاصها لله لذا يقول: "إن كل من لم يسلك طريق القوم، وهم المتصوفة ويتحقق بعلومهم حتى يعرف نفسه لا يصح له الإخلاص ولو كان أعبد الناس وأروعهم وأزهدهم وأشدهم هروبا من الخلق...[10]. فالمعرفة بالنفس تتحقق عن طريق المواظبة على العبادات والإقبال على أمر به الحق من الفرض والنوافل، حتى يصل إلى الكشف واليقين بمجاهدة النفس وتنقيتها من الأدران والشرور.غير أن تصوف الأمير لم يتحدد في انعزاله عن الحياة الاجتماعية ولبس لباس الصوف، وإظهار الزهد والتفرغ للعبادة فقط "فهو يرى أن الوجود أو الحضور في العالم يستنشق في كون المتصوف بوجه عام يضطلع بمسؤولياته الاجتماعية ويمارس وظيفته الأمر الذي يجعله في اتصال وثيق ويومي مع أمثاله ويتجلى تأثيره بشكل بطيء ومستمر عن طريق القدوة والعظة والمتصوف، قاس تجاه نفسه ويخضع ذاته لنظام قاس ويدعوا للزهد وقد يذهب به الأمر إلى حد إماتة الجسد كي يجعل من ذاته أداة طبيعة ومناسبة لرسالته العظمى".[11]

تنطوي ميوله إلى الحياة الاجتماعية على حرص عام وتبجيل للجنس البشري ولكي ينتشل النفوس من خطاياها وبلوغ القلوب يمتنع عن كل عنف ،لأن العنف ينفر ويبعد الغير وسيكون متسامحا ومتفهما ولطيفا وصبورا جدا.[12] تميز تصوف الأمير عبد القادر عن غيره كونه يعدَ أول من جمع بين الجهاد والتصوف تجلى ذلك من خلال دراسة مراحل حياته أي تصوفه يظهر في مقاومته للعدو، وفي سجنه وفي منفاه، كما عبر عنه في معاملاته وفي كتاباته ولقاءاته ومواقفه وفي دفاعه عن المظلومين بدون تميز، ومساعدته للفقراء والمحتاجين.

لقد كان جهاد النفس هو أساس تصوف الأمير بحيث كان يرى "أن المتصوف لا بد له

من أن يكون في جميع أحواله وتصرفاته حاضرا مع الله تعالى ،وبذلك يكون له علم بمعرفة النفس وأحوالها حتى يتحقق إخلاصها لله وممارسة الرياضات الشاقة وهذا سيوعد حتى إلى جهاد النفس."[13]وقد عبر الأمير عن مجاهدته هذه في المواقف 83 بقوله "ومن بعض نعم الله تعالى علي أنني مقدر رحمة الله بمعرفة نفسي، ما كان الخطاب لي والإلقاء على، إلا بالقرآن الكريم العظيم.[14]

فكتاب المواقف مدونة أخلاقية، أكد فيها خاصة على إشكالية جهاد النفس عن طريق التخلية والتحلية فهو الجهاد الأكبر وجهاد العدو، لا يكون خالصا إلا إذا كان منبثقاً عن جهاد النفس.

حيث ركز على عنصر الأخلاق الذي يجب أن تتحدد المعاملات إلا بمقتضاه فهو منبعها وغايتها لذا فقد ميز بين الخلق في صورته العامة لهيئة النفس وصورتها الباطنة ،فهي مصدر القيم كالوفاء، والصدق والغدر والكذب وبين الحسن أو السلوك الذي يكون مصدر الخير (الفعل الأخلاقي الحسن).

فعلى الرغم من أن الدين هو أساس الأخلاق عند الأمير إلا أن الممارسة الأخلاقية في نظره لا يكون لها أية قيمة إلا إذا كانت منبثقة من العلم والمعرفة حيث يقول "إن جميع الحيوانات تنشد المتعة بوصفها كذلك، فإن المتعة لا يمكنها أن تشكل غاية أخلاقية لأن كل غاية أخلاقية يجب أن تضطلع بشرط مزدوج، الاستجابة للطبيعة الخاصة للإنسان وضمان ترقيته اللامحدودة عن سبيل الكمال والعلم وحده هو الذي يستطيع أن يهب الإنسان متعة من هذا القبيل فهو الذي يسخر قدرته الكبرى والأكثر تميزا للفكر ، فالعلم يعني بالنسبة إلى روحه إثراء لا حدود له ، ومتعة لا تبعث على الضجر إطلاقا."[15]

جعل الأمير العلم والمعرفة هما أساس ارتقاء الإنسان إلى الكمال، فالخير يفقد قيمته ومعناه بدون العلم والمعرفة. فالأمير كان يبتغي القرب الخالق، فبقدر محبة الخالق والشوق إلى التقرب إليه بقدر ما يزداد حبه إلى معرفته بالحبيب المطلق وواجب الوجود حيث يقول:

وإن قلت يوما قد تدانت ديارنا لأسلو عنهم، زادني القرب أشجانا
فما القرب لي شاف ولا البعد نافع وفي قربنا عشق، دعاني هيمانا[16]

فلقد ملأت محبة الخالق قلب الأمير وهذه المحبة الإلهية التي عرف حلاوة مذاقها ونعمة عطائها هي التي أشعلت في قلبه نار الشوق لمعرفة الحبيب والتقرب منه

السمو الخلقي في تصوف الأمير عبد القادر: إذا كان المعنى الباطني للتصوف قائم على مجاهدة النفس بالرياضة الشاقة والاهتمام بالعلم والمعرفة حتى يكون مصدر السلوك الأخلاقي الخير، النابع من محبة الخالق، هذا بمحبة معرفته والتقرب إليه ،غير أن تصوفه لم يكن مصدرا الانقطاع عن الدنيا والابتعاد عن الناس والهروب عن مسؤولياته الاجتماعية. بل كان له تجلى وانعكاس ظهر في سلوكه وتعامله مع غيره مما جعل الأعداء يشهدون له بالعدل والسمو الأخلاقي.

حيث قال عنه ليون روش: "حين يصلى هو صوفي، حين يقود هو سلطان حين يتكلم حربا، خطوط وجهه تضاء، فهو عندئذ عسكري وحين يتحدث مع أصدقائه والمقربين منه

تظهر طيبته صريحة ومنفتحة، بل إن له حتى ميلا للدعابة."[17] فتصوفه قائم على تقيد بالكتاب والسنة واهتمام بالتربية والأخلاق ، لذا فقد كان يشجع على البحث عن العلم وحبه وطلبه ،كما كان يشجع على الحفاظ على الكتب فقد احتوت زمالته على أكبر مكتبة ، وقد يشجع على طلب العلم حتى في مرحلة الجهاد والحرب،لأنه كان يؤمن بأن العلم هو منبع النهضة وتطور الحضارة.

وقد عبر عن دلك بقوله في رسالة وجهها إلى الملكة الفرنسية "اقنعي نيابة عني الملك فبدلا أن يبعث إلى الأبناء الأمجاد للحرب،يبعثهم لمساعدتي على إرساء قواعد حضارة تكونين قد ساهمت فيها"[18]

اتسم تصوف الأمير بمبادئ أخلاقية سامية تجلت في ممارسته لها في حياته ،كما نادى بها للناشئة من بعده بأخذ العبرة والإقتداء بسلوك الرسول عليه الصلاة والسلام .وفي هذا يقول في كتابه المواقف "إن الله سبحانه وتعالى يرى ويبصر جميع الأشياء حال عدمها وحال إيجادها، وإذا كان الجسد في المسجد والقلب في السوق أو الجسد في أحد الأماكن الشريفة مكة أو المدينة أو بيت المقدس بمعنى انه لايبالى به حتى يتوجب إليه بالنظر الخاص والرؤية الخالصة ليفيض عليه من خبراته وأنواع كرامته وتحلياته ،إذ الإنسان ما حصل له الشرف على جميع المخلوقات بحسن شكله وصورته ،فإن الصورة في الحائط أو الورق مثله ،ولا يكبر جسمه فإن الفيل أكبر منه ،ولا بشجاعته ،فإن الأسد أشجع منه، فما كان له الشرف إلا بإنسانيته وهي قلبه".[19]

كان قلبه يشع بالعفو والإنسانية ومكارم الأخلاق حيث تجلت هذه في سلوكياته، بحيث يروى عنه "أن ذات يوم تقدم زنجي مسكين رشاه شخص ما كي يقتل الأمير غير أنه تسمر في مكانه عند رؤية عبد القادر وهو يرأس مجلسا شامخا عزيزا وهادئا وبسيطا، فاعترى الزنجي الندم فأخذ يكسر خنجره، وارتمى عند رجل الأمير قائلا "كنت أتأهب لقتلك غير أن مظهرك جعلني أعزل لأني توسمت حول رأسك هالة الرسول." نهض عبد القادر بوقار وببرودة أعصاب، ثم وضع يده على جبين المسكين دخلت هاهنا قاتلا، والله الذي يرض على التوبة قد قضى أن تخرج وقد أمسيت رجلا أمينا."[20]

لقد مثل اتجاهه نهضة صوفية كان لها أثر بين عن طريق القدوة أكثر منه بالعظة والكتابة ،إذ شكلت الإرهاصات الأولى للحركات الإصلاحية، بحيث اتسمت شخصية الأمير عبد القادر بالالتزام بالعقيدة الإسلامية، والتي لا تتحدد فقط في إيمانه الديني الذي جعل منه رجلا قويا ساميا، وإنما في انطلاقته السخية التي تخرج من الكائن نفسه بحثا عن جمهورية الناس التي يحلم بها الفلاسفة ،إنها الفكر والعمل والكلمة والفعل في شكل كيان يشد بعضه بعضا، مانحا الروح صفاء البلور وشفافيته."[21]

ومن سموه الأخلاقي، حبه للتقشف ونبذ مظاهر الترف ،بحيث كان يمقت اكتناز الذهب والفضة أو استعمالها كصنع الأواني الخاصة بالشرب والأكل. لذلك قال "من اتخذ الذهب والفضة آنية للأكل والشرب فهو ظالم، وكان أشر من الذي كنزهما وادخرهما، لأن مثال هذا المثال من جعل حاكم البلد حجاما أو درازا أو جزارا من الأعمال التي يقوم بها أخساء الناس لأن النحاس والرصاص والطين تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ يكفي الطين

تنوب مناب الذهب ،والفضة في حفظ المأكولات والمشروبات عن التبديد وفائدة الأواني حفظ المائعات ،ولا يكفي الطين والحديد والرصاص والنحاس في المقصود الذي يراد من الذهب والفضة."[22]

فالأمير يتساءل ما الفائدة من استخدام الذهب والفضة كأواني بدلا من الوسائل الأخرى التي عددها، أن في ذلك لتبديد وتبذير، لم تكن أخلاق عبد القادر فردية محبة لمتعة وزخرف الدنيا بتمتع بجمع المال والذهب والفضة ،وإنما كان يرى فيها وسائل عيش تساعد على سد الحاجات الأفراد فحسب ،فالأخلاق عنده وأن كانت تركز اهتمامها على الفرد ،فإنما تفعل ذلك لإعداده للحياة الاجتماعية وتجعله أكثر استعداد لأداء واجباته فيها. إن الإنسان لا يسمو إلا بالجماعة التي ينتمي إليها."[23]،لم يكن الأمير عبد القادر يبحث عن الكمال الفردي بل كان ممثل لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث كان على وعي تام بالبعد الاجتماعي لمثاله، فعندما يكون الفرد منارة ساطعة ترشد الشعب فلا بد عليه أن يكون أفضل الناس كي يبذل قصارى جهده قصد الارتقاء إلى مصاف المصير.

قيم السلم في تصوف الأمير عبد القادر ونزعته الإنسانية: كان الأمير عبد القادر نموذجا فريدا بمواقفه الجهادية وبجهوده الإنسانية وبإسهاماته العلمية كقائد مقاومة وزعيم أمة، ومؤسس دولة وعلم من أعلام الإسلام في العصر الحديث، ولمكانته السامية في قلوب أبناء الجزائر، وفي قلوب من عرفه ،وكانت له به صلة من أبناء الأمة العربية الإسلامية وغيرهم من أبناء الأمم الأخرى التي جعلت لفكر وسلوك الأمير عظمة وخلودا، لما كان له من مشاركة مشرفة في حركة النهضة العربية التي تبدوا في صور مختلفة من ذلك.[24]إسهاماته العلمية من أجل إبراز الصورة الصحيحة للدين الإسلامي ومواقفه العملية: غيرة عليه ودودا عن حياضه.

1- استجابته الصادقة لنداء الأمة المحكومة بسيف الغزو الصليبي، واضطلاعه بأعباء التصدي لأعدائها ودفع غيلتهم عنها.

2- حرصه على تآخي المسلمين ووحدة صفهم، ونبذ كل أسباب التفرقة فيما بينهم، وحضهم على التسامح ،وحسن المعاملة مع كل من يسكانهم من أبناء الملل والنحل الأخرى.

"وإن موقفه الإنساني في إطفاء نار الفتنة التي اندلعت ما بين المسلمين والمسيحيين بالشام، لا ينساها له التاريخ، وقد استطاع الأمير بهذه الخصال الإنسانية النبيلة أن يجمع في جهاده ما بين التصدي للغزو الصليبي الفرنسي بسيفه في ساحة المعركة، وبين إسهامه بالقلم عن طريق الكتابة في عملية تجديد الفكر الإسلامي، وإيقاظ المسلمين، ويمكن اعتباره بحق بهذه الخاصية الجهادية نموذج المبكر في تاريخ الفكر الجزائري الحديث الذي جسده بكل قوة وصدق ووضوح ذلك التلاحم ما بين الدين والوطن.[25]وقد أعده بعض الباحثين بهذه المميزات واحدا من أبرز أعلام اليقظة العامة في العالم العربي الإسلامي وفي العصر الحديث،يعد الأمير إنموذجا للإنسان الحضاري على مستويات عديدة بحيث أن محاربته للعدو الفرنسي بالسلاح عبرت عن وعيه ونبله الأخلاقي. فقد كانت أحكامه قائمة على قوة القانون العادلة أي يحتكم إلى الواجب الديني الإنساني حيث

قال:

وقد سرت فيهم سيرة عمرية وأسقيت ظاميها الهداية فارتوى

وإني لأرجو أن أكون أنا الذي ينير الدياجي بالسنا بعدما لوى[26]لقد كان هاجسه في هذا التطلع لبلوغ الصفاء الأخلاقي الذي يعطي للإنسان قدوته فهذا الصفاء كان أرضية لكل تقدم نحو الكمال والسمو الأخلاقي غايته ارتقاء من شأن الإنسان وإعطائه حقه في الكينونة بدلا من التزمت والتعصب الأعمى. فوطنيته لا تنفي إنسانيته أي أن هذه الوطنية هي جدل تكاملي مع الإنسانية بحيث يمكن اعتباره نموذجا لتأصيل حقوق الإنسان، وقد تجلى ذلك في تعامله مع الأسرى بحيث أنه سعى جاهدا إلى أنسنة الحرب humaniser la guerre

لم يكن أسرى الحرب في نظره خصوما إذ لا يرتبط مصيرهم بالمعاهدات الدولية أو بالقوانين التي تنص على المعاملة بالمثل، فهم ضيوف تعساء لهم الحق في الشفعة، بحيث لم يبالغ الأمير لما كتب للملك لويس فليب"لم نقم أي تميز بين الأسرى وفرقنا فيما يتعلق بالأكل والمبيت بل أكثر من هذا لهم امتياز يتمثل في حصولهم على اللحم والقهوة وأشياء أخرى."[27] كما كان يوزع عليهم شيئا من المال.لم يكن الأمير يكتفي باحترام القناعات الدينية للأسرى ،كان يأمل في أن يسهل لهم ممارسة طقوسهم وتأمين حضور مرشد كاثوليكي يبعث السكينة في قلوبهم، حيث طلب من الأسقف **ديبيش** (1841) أن يرسل إليه أحد القساوسة " لن ينقصه أي شيء، فسأحرص على أن يبجل ويحترم من قبل الجميع في كنفنا كما يقيم بمقام رجل في خدمة الله وتمثيلهم، سيؤدي الصلوات مع الأسرى وسيواسيهم، كما يمكن أن يراسل ذويهم وبهذه الوسيلة يمكنهم من الحصول على المال والثياب والكتب وبكلمة واحدة كل ما يرغبون فيه، والذي من شأنه أن يحقق من وطأة أسرهم"[28]فالأمير يحترم في الأسير الإنسان وحرية فكره وحرية معتقده، أنه كان يحترم الإنسان و حقه الطبيعي ،لذا جعل رعاية الأسرى تحت كفالة المقربين إليه، أما الأسيرات فقد كن "في كفالة أم الأمير،لأنه كان ينظر إليهن على أنهن ضحايا بريئة للحرب فالأسيرات كن يسكن في خيمة خاصة، بالقرب من أم الأمير و"غداة تبادل الأسرى قدم الأمير إلى الأسقف ديبيش هدايا".[29] فمواقفه حتى مع العدو الذي اغتصب الأرض،الذي قتل وشرد الأبرياء تنم عن مروءته وحلمه وسمو أخلاقه، الذي كان يرفعه عن كل أساليب الدنيئة والأفعال الشريرة.ذلك انه كان يبتغي بعث روح المحبة والتآخي بين أفراد المجتمع الواحد، وكذا في تعامله مع غيره من غير ملته، أي مع عدوه فلقد كان يؤمن بوطنه الصغير الذي يحدد ملامح هويته ،والذي يعمل على الدفاع عنه، ومحاربة الأعداء لتحقيق حريته ويحافظ على قيمه وعلى هويته، كما يؤمن بانتمائه للوطن الأكبر وهو وطن الإنسانية جمعاء، وهذا ما عبرت عنه سلوكياته و إحسانه للأسرى كما سبق الذكر، معاونته في إطعام الفقراء في بروصا ومواقفه في الدفاع عن حرية الاعتقاد.

التسامح الديني عند الأمير عبد القادر:_لقد كانت الشريعة الإسلامية منهلا لقيم السلم والتسامح الديني تشبع به قلب وعقل الأمير عبد القادر جعله قدوة لغيره في بث قيم السلم والتسامح التي دعا إليها الإسلام حيث يقول "كثير ما يورد مبتورا تكذيب البعض (الرسل)

وتصديق البعض قصورا ولو أصغي إلى المسلمون والنصارى لرفعت الخلاف بينهم ولصاروا إخوانا ظاهرا وباطنا"،[30]فاختلاف في العقائد في نظره لا يمنعهم من أن يكون إخوة، ويقول أيضا "إن رد المسيحيين على اليهود هو الرد نفسه الذي وجه للمسيحيين فما قاله المسيح هو نفسه ما قاله الرسول، ما جئت لأبطل الإنجيل والتوراة، وإنما جئت لأكملهما ففي التوراة أحكام السياسة الظاهرة العامة، وفي الإنجيل أحكام السياسة الباطنة الخاصة. وأنا جئت بالسياستين جميعا، حيث بالقصاص ولكم في القصاص حياة، وجئت بالعفو وأن تعفو أقرب إلى التقوى خذ العفو وآمر بالعفو وأعرض عن الجاهلين هو إشارة إلى السياسة الباطنة الخاصة. وهذا دليل على أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. لأن النبوة حكمة والحكمة إما عملية أو علمية أو جامعة بينهما..."[31]

ففكر الأمير عبد القادر يعبر عن رؤية مؤمنة بوحدة الأديان فجوهر هذه الأديان واحدا، يتجلى في وحدانية الله، الله خالق العالم، الله خالق جميع الكائنات من دون علة ، القدرة التامة.فكل منها حملت أحكام إلا وجاءت الأخرى فنسختها ليس لإبطالها وإنما لتكميلها، وهذا ما عبر عنه، فالشرائع تتكامل في الباطن وإن اختلفت في الظاهر .لهذا فإن مقاومته انبنت على أساس إنساني فعلى الرغم من بشاعة الحروب وقسوتها إلا أنها تشبع بالقيم السامية ،وقد عبر عن ذلك الأمير في سلوكه وفي قوله من خلال المراسلة حيث كتب جاسوس الفرنسي **ليون روش** 1844 باسم القائد العسكري **بوجو** رسالة تنطوي على ألفاظ ماكرة اضطر الأمير إلى الرد عليه بنبرة ساخطة "إنك تدعوني إلى إيقاف حرب تزعم أن ديني والقوانين الإنسانية تستهجنها إني على دراية بما يأمرني به ديني، وليس المسيحي هو الذي يلقن المسلم معنى القرآن. أما الإنسانية فيحسن بك أن تنصح الفرنسيين أولا بإتباع النصائح التي يسدونها إلى، ترى من هم الذين يخترقون قوانين الإنسانية أهم أولئك الذين اجتاحت جيوشهم[32]بلاد العرب الذين لم يهينوهم، والذين حولوا بيوتهم إلى خراب.. أم أولئك الذين يحاربون من أجل رد العدوان القائم وتحرير بلادهم من نير الغزاة."[33]

لقد كانت محاربته للعدو الفرنسي منبثقة من صفاء روحه وسمو أخلاقه التي كانت تنبذ الظلم والاستبداد والاستعباد. وهذا ما جسدته خصاله الأخلاقية التي تفوح بروح التسامح والرحمة والحلم في أحداث دمشق في ماي 1860 حيث علم بالمؤامرة التي كانت تعد لها بعض الأطراف الأجنبية : فرنسا وانجلترا أحدهما تدعم الدروز والأخرى المارونين فباستغلال الصراع التي تؤدي إلى اضطرابات دموية يكون التدخل الأجنبي المسلح، فإن هذه المجازر كانت ستتم تحت أمرة الحاكم التركي بدمشق الباشا أحمد، وقد أدرك الأمير بتبصره السياسي المحركات الدسيسة الخاصة بمشروع الشرق الأوسط، وحاول التصدي له، وعمل على إيقاف المجازر التي كانت تبيد المسيحيين حيث كانت تنادي بالموت للمسيحيين، إذ جمع في بيته المسيحيين حيث كان ينادي في الشوارع "أيها المسيحيون تعالوا، أنا عبد القادر بن محي الدين تعالوا سأحميكم، وقد بلغ الملتحقين ببيته حوالي سبعة مائة شخص وقد تحول منزله إلى ملجأ للمسيحيين، غير أن انتشار الخبر قد استغله البعض للاحتشاد أمام بيت الأمير والمطالبة بالمسيحيين.فعلى الرغم من محاولته لرد وإقناع الناس بالعدول عن أفكارهم وأفعالهم المتوحشة إلا أنه لاحظ من عدم جدوى

ذلك، لذا فاستقام متحديا قائلا:" المسيحيون؟ لن تنالوا مسيحياً واحداً طالما ظل جندي من جنودي حيا، إن المسيحيين ضيوفي يا قتلة النساء والأطفال. هيا حاولوا أخذهم وسترون كيف يحسن جنود عبد القادر القتال أقسم بالله بأننا سنجاهد من أجل قضية مقدسة التي جاهدنا في سبيلها من قبل."[34]

وهكذا يماثل الأمير عبد القادر بين جهاده من أجل وطنه وحريته، وتصديه لبني ملته في الدين من أجل نصرة الحق والإنسان فعلى الرغم من أن القضية الأولى كانت ضد الصليبيين والتصدي لعدوانهم والقضية الثانية كانت في التصدي للمسلمين وظلمهم للمسيحيين. فالقضيتان بالنسبة للأمير عبد القادر لا تختلفان لأن وسيلتهما هي القمع والعنف (القتل) محركهما هو الظلم ونبذ الإنسانية وحرية الإنسان في الفكر والمعتقد لذا فكلتاها اعتبرهما مقدسان ويجب محاربتهما.فهو قد حارب التعصب والفوضى، والظلم وقمع الحرية وهكذا فقد سجل له إنقاذ اثنا عشر ألف مسيحي.

وقد أظهر مقاصده الأخلاقية في رسائله التي رد فيها عن الذين عبروا عن امتنانهم لما فعله يقول الأمير في رده على السويسري أنبارد غداة أحداث دمشق "أما فيما يتعلق بقولكم يا صديقي حول التناهي إلى الصحافة في شأني، فإني أقول لكم بأنني أكن عناية وتسامحا جما للناس الأمر الذي يجعلني أجنح إلى احترام جميع الناس مهما كانت معتقداتهم ودينهم، بل إني أذهب إلى حد حماية الحيوانات ولا أرغب في إيذاء أي كان بل على العكس أسعى إلى خيرهم. إن الله خلق الناس كي يكونوا عباده لا عبادا لغيرهم ،ولكن للأسف أرى في زماننا هذا أن أولئك الذين أوكل إليهم أمر قيادتهم ، جعلوا منهم عبيدا، وبدل أن يجنحوا إلى نجدة الفقير وحماية الأرملة واليتيم يستولون على ممتلكاتهم ويسخرونهم لإرضاء نزواتهم.[35] فالأمير من خلال هذه الرسالة يحدد أهم المبادئ الموجودة في فكره ،والتي آمن بها ودعا لها وحارب من أجلها وهي حرية الفكر والوعي، الديمقراطية والعدالة الاجتماعية، فتصوفه منبثق من أبعاد سامية تسعى إلى أن ترتقي بالإنسانية إلى مكانة متعالية من سموه الأخلاقي، لأن دور الإنسان في هذه الحياة مهما كانت ملته أو اعتقاده هو التعمير وليس التدمير، والارتقاء بالعقل وليس الاستعباد للنزوة والهوى حيث يستبد الإنسان بأخيه الإنسان ويسلبه حريته وحقوقه، بل يجب أن تكون المحبة والرحمة هي نبراسه والحلم والعفو والتسامح هي عقيدته التي تحركه من أجل التكامل والتلاحم لغاية البناء والتعمير وليس التدمير.

فبحكم هذه الغايات الإنسانية التي حكمت فكر وسلوك الأمير عبد القادر ظل خالدا وقدوة لسموه الأخلاقي ومنهلا الدراسات الإنسانية لكي تستشف منها أبعاد فكره حتى تكون منهجا لحياة اجتماعية عفنت صفوها الفتن والحروب والصراعات.

من أهم النتائج التي تم التوصل إليها من دراسة فكر الأمير أن الإنسان هو رسول عقيدته ،وفكره من خلال المنهج الذي يحدده لسلوكه ،فحتى ولو كان رجل قتال أو حرب ،فذلك لا يعني الابتعاد عن الحكمة بحيث تحكم الهمجية والوحشية سلوك الفرد إذ يجب دائما احترام الذات الإنسانية ،والتعامل معها بهذا المبدأ حتى وأن كانت عدوا لي ، كما لا يجب التغاضي عن الواجب الاجتماعي وألاخلاقي ،أينما حل ووجد فهو مدعو لمساعدة أخيه

الانسان تلك هي قيم الإسلام ،التي عمل على تجسيدها في تعامل بها وكان سفيرا لها ، وبين عالميتها لأن أساسها احترام حق الإنسان في الحياة ،لذلك سجل له التاريخ أنه كان رائداً من كبار رواد النهضة الإسلامية والتي شرع فيها في القرن 19 ولو قيض له مواصلة تجربته الرائعة في كنف السلم لجعل الجزائر في طليعة الشعوب الإسلامية.وهكذا جمع الأمير عبد القادر ذويه وأعدائه القدامى في عبادة قيم مشتركة "قيم السلم والتسامح" .

لقد استمرت هذه الدعوة لمحاربة العدو بالقيم التي جاهد من أجلها الأمير عبد القادر نصر الإنسان والإنسانية وفق قيم السلم والتسامح التي دعت إليها الشريعة الإسلامية وهو ما حاولت أن تكرس له الصحف الطرق الصوفية في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي. ببث روح التسامح في قلب المسلم عامة والجزائري خاصة ودعوته لتأدية الواجبات الدينية،بل و حتى الاجتماعية بمراعاة القيم الإنسانية احترام الإنسان في ذاته. حتى يؤدي كل فرد دوره في مساعدة أخيه والارتقاء بمجتمعه حضاريا، وأخلاقيا وهذا بالتزام القيم الأخلاقية الفاضلة. بنشر المحبة والتعاون ، بتلاحم وتراحم.الأفراد فيما بينهم .

الهوامش

-:Bruno Etienne et Français bouillon « ABDEL KADER le magnanime » Hachette France, 1994, P 11.

2:Charles Henry Churchill, la vie d'Abed el Kader, introduction et notes de Michel Hobart, SNED, Alger 71P 47.

3. جورج الطربيشي ،معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٦٠.

4: الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه لغافل، مكتبة الخانجي دار اليقظة للطباعة والنشر بيروت، د ط س، ص١١.

5: المصدر نفسه ص ١٢

6 المصدر نفسه ص 41.

7. الأمير عبد القادر ،الموافق في بعض إشارات القرآن إلى أسرار والمعارف ج 2، حققه عبد الباقي مفتاخ ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،"ط1 ،2005ص ص12. ،13

8. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا أ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط 1985، ص 115-114.

9 الأمير عبد القادر، المواقف ج1 في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف صفة عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 35.

10: محمد الشريف سحلى، الأمير عبد القادر فارس الإيمان ترجمة محمد يحياتن، منشورات ANEP الجزائر، 2008، د ط، ص 60.

11: المرجع نفسه، ص 60.

12 فؤاد السيد المرجع السابق ص -115 116.

13: الأمير المواقف –الموقف 83 ص 159.

14 الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل، ص 41.

15 عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1992، ص 238.

16: عشران سليمان، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق (ملحق بكتاب 10 سنوات في أرض الإسلام، ط1، 2010 للجاسوس ليون روش ،دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران، ص 130-121.

16 : المرجع نفسه ص139

17 لأمير عبد القادر ،المواقف ج١ ص ٧٨

18، محمد الشريف سحلى، الأمير عبد القادر فارس الإيمان، ص54.

19 محمد الشريف سحلى، المرجع نفسه، ص63.

20 الأمير عبد القادر، ، ذكر بالعاقل، ص 83-82.

21: المرجع السابق ص 38.

22: محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها، بدايتها مراحلها ومطبعة الكاهنة الجزائر، د ط، 2003، ص 83.

23: المرجع نفسه ص 84.

24 عشراني سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص 58.

25: محمد الشريف سحلى، المرجع السابق ص 107.

26 المرجع نفسه ص ١٠١.

27 المرجع نفسه ص 110.

28 الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل ص 103.

29 الأمير عبد القادر، ذكرى الغافل، ص 103-102.
30 محمد شريف سحلى، المرجع السابق ص 114.
31 المرجع السابق، ص114.
32 محمد شريف سحلي المرجع السابق ص 122.
33 محمد شريف سحلى المرجع السابق ص 132.

المصادر والمراجع

1. الأمير عبد القادر، المواقف ج1 ، في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف صفة عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2005
2. الأمير عبد القادر، المواقف ج2 في بعض إشارات القرآن إلى الأسرار والمعارف صفة عبد الباقي مفتاح، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، ط1، 2005
3. الأمير عبد القادر، ذكرى العاقل وتنبيه لغافل، مكتبة الخانجي دار اليقظة للطباعة والنشر بيروت، د ط س
٤. جورج الطربيشي ، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع بيروت، ط١، ١٩٨٧.
٥. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا أ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط ١٩٨٥،
6. عشراني سليمان، الأمير عبد القادر الشاعر، دار القدس العربي للنشر والتوزيع وهران ، ط1، 2011
7. عشران سليمان، الأمير عبد القادر في بلاد المشرق (ملحق بكتاب 10 سنوات في أرض الإسلام، للجاسوس ليون روش ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، وهران ط1 2010 -
8. محمد بن سمينة، في الأدب الجزائري الحديث، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها، بدايتها مراحلها ومطبعة الكاهنة الجزائر، د ط، 2003،
9. حمد الشريف سحلى، الأمير عبد القادر فارس الإيمان ترجمة محمد يحياتن، منشورات ANEP الجزائر، 2008، د ط،
10. عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1992
11. Bruno Etienne et Français bouillon « ABDEL KADER le magnanime » Hachette France, 1994, P 11.
12. Charles Henry Churchill, la vie d'Abed el Kader, introduction et notes de Michel Hobart, SNED, Alger

JOURNAL OF PHILOSOPHY

Biannual Journal

Issued by
The Department of
Philosophy - College of Arts
Mustansiriyh University